رمزية الجسد في رواية (عار) لجمعة الموفق
قراءة سوسيونصية

د.عبد الحفيظ محمد خليفة العيساوي
جامعة غريان ليبيا

ملخص البحث:

تهدف هذه القراءة إلى معاينة الحضور اللافت للجسد ودوره في بناء السرد ونموه في رواية (عار) لجمعة الموفق مفيدة من أطروحات االسوسيولوجيا عن الجسد في قراءة النص من داخله.

كلمات مفتاحية:

مأزق الجسد، محو الجسد، الجسد المنتقم.

Research Summary:

This reading aims at examining the remarkable presence of the body and its role in building the narrative and its growth in the novel (Shame) of Juma'a Al-Muwaffaq, a useful sociology treatise on the body in reading the text from within.

Keywords:

The predicament of the body, the obliteration of the body, the avenger body.

مقدمة:

يشكّل الراهن الليبي مرجعاً لرواية (عار) التي تبتني متخيّلها السردي من الحرب الليبيّة دون أن تتحوّل إلى وثيقة تسجيّليّة؛ لأنها مسكونة بما هو إنساني فلا تتبنّى مواقف سياسية واضحة على لسان أيّ من الساردين اللذين يتوليّان السرد فيها، وهما سارد داخلي ضمن بنية الحكي متمثّل في شخصيّة (منير)، وسارد خارجي، والرواية تنجح في تحقيق تعدّد المستوى اللغوي المنشود في الانتقال من لغة السارد الأول إلى السارد الثاني، وهو ما تجلّى طباعيّاً في الكتابة بخطّين مختلفين، فلا نشهد أيّ مزج بين لغة الساردين.

يبتني المتخيّل السردي موقفاً عدائيّاً من الجسد الذي يُمثّل الهويّة المادية للإنسان، وفي ظلّ حرب تستعر يغدو الإنسان مطارداً بسبب جسده، فمعاناة الشخصيّة الرئيسة (منير) تنشأ بالأساس من تشابهه مع شخصيّة أخرى ضالعة في الحرب، فالجسد الذي تُنتهك قداسته عبر فعل الاغتصاب يتحكّم لاحقاً في البناء النفسي لشخصيّة (منير)، ويرسم لها مساراتها السردية، لأنه يتعرّض للانتهاك بسبب هذا التشابه مرتين، مرة بالاغتصاب، ومرة بالقتل، ومن ثم تأتي هاته القراءة إجابة عن السؤال التالي: ما دور الجسد في بناء المتخيّل السردي لرواية (عار) وتداخل الحكايتين الأساسيتين فيها؟

ينطوي الجسد، بالإضافة إلى بعده المادي، على بعد ثقافي تبنيه نظرة المجتمع للإنسان الذي صار مع صعود الفردية الحديثة يُميّز عن جسده، بل إنه يعارض هذا الجسد، وبالذات في اللحظات التي يتعرّض فيها الإنسان للتعذيب والانتهاك، من هنا اتبعت هاته القراءة منهجاً سوسيونصيّاً لتقارب الحضور الفاعل للجسد في رواية (عار)، ودوره في بناء السرد وانتظامه، مفيدة على نحو خاص من أطروحات (دافيد لوبروتون) في كتابيه: أنثروبولوجيا الجسد والحداثة، وتجربة الألم.

1_ مأزق الجسد:

يصير الجسد في هذه الصراعات والحروب فخّاً، وقيداً يمنع صاحبه الإفلات والوصول إلى شساعة الأماكن الآمنة، إنه يتمثّل بوصفه آخر معادياً، فـ"الجسد يغدو الشكل الأولي للعذاب، والعدو الماكر الذي يمنح موطناً لشطط الجلّادين"[1]، ذلك أنه يُشكّل المادة التي يستغلّها الأعداء لإلحاق الأذى بالإنسان، وفي ضوء هاته التصوّرات عن العلاقة بين الإنسان وجسده نقرأ رغبة الضحية في الانفصال عن الجسد، "فالضحية يعارض جسده بإرادة عاتية، مرتبطة بقوة طبعه ورغبته في البقاء"[2].

تنشأ محنة (مُنير) الذي يتولّى السرد في هذا المتخيّل السردي بسبب جسده الذي يُقحمه في الصراع ليتحمّل كلّ العذابات اللاحقة:

1_ لوبروطون، دافيد، **تجربة الألم**، تر: فريدة الزاهي، ادار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2017م، ص:112.

2_ لوبروتون، دافيد، **أنثروبولوجيا الجسد والحداثة**، تر: محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1997م، ص:94.

لابد أنّ لعيناً ما، كان يشبهني
فهناك أربعون شبيهاً للمرء كما يقولون، أنا لم ألتق شبيهاً واحداً لي حتى تلك اللحظة، لكنّي سأؤمن بالشبيه، وسيذهلني هذا التطابق، وهو سيكون سبب هذه الكتابة العنيفة والمُرّة.
لجمال حظّي ظنّوني هو (أود في هذه اللحظة أن أضع رابط الفيديو ليُغنيني عن الكلام).
اشتبه بي ولد مزغب "هيه أنت" قال وأضاف "انزل من السيارة" كنا نقف عند الحاجز الأمني، أنا جانب السائق الذي خاطر من أجل أربعمائة دينار ليقلّني إلى دياري، أنزلوني وتركوا السائق بعد أن تأكدوا من أنه لا علاقة له بي.
بحث في جوّاله، وقال بغضب وهو يضع أمامي الفيديو: "أليس هذا أنت يا ابن ال....؟"
كان حقّاً ابن (....) ويشبهني جداً، لكنْ أقسمتُ له أنه ليس أنا.
"بل أنت" قال، ودفعني بعقب البندقيّة، نادى على زملائه وهتف "وجدناه"[1].

ينمو السرد ويحتدم في رواية (عار) من خلال الحضور الفاعل للجسد في أبعاده المتعدّدة المادية والثقافية والاجتماعية والرمزية ليعاين القارئ سردية الجسد؛ إذ يمكن القول إنّ الجسد هو السارد الحقيقي الذي يبحث في عذاباته عن معنى، فـ"الألم يكون دوماً محشواً بالمعنى"[2]، ومن جهة أخرى يُمثّل العنف الممارس ضد الجسد اعترافاً صريحاً بقيمة الجسد وخطورته في الوجود البشري[3]، وهو ما يُضفي عليه أهمية مضاعفة تقتضي من أية قراءة أن تكون قادرة على فكّ شفرات هذا الجسد، وفي سياق هذه العدائية التي يبنيها المتخيّل السردي بين الضحية (منير) وجسده يصبح الخلاص مرتهناً بالقدرة على الانفصال عن الجسد، وهو ما يتبدّى في مشهد الاغتصاب: **مقاومتي في شكلها الأخير تبدّت في الشكل الذي أعلنته لنفسي، في لحظة عبثهم، كنتُ أنا أنفصل عن الجثة، لأغدو طاهراً ونقيّاً، إلهاً إنْ صح القول، وهو صحيح بالنسبة لي، تلك اللحظة التي رأيت فيها نوري، مجدي، انفصلتُ وبقيت في نفس الغرفة أرى عبثهم المقزّز مع جثة بدت لي غريبة للوهلة الأولى، التدنيس أفضى إلى القداسة.**

3_ الموفق، جمعة، **عار**، جامعة المبدعين المغاربة، الدار البيضاء، ط1، 2021م، ص:85.

[2] _ لوبروطون، دافيد، **أنثروبولوجيا الجسد والحداثة**، مرجع سابق، ص:60.

[3] انظر، إبراهيم، الزهرة، **الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الثقافية: وجوه الجسد**، النابي للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق ، ط1، 2009م ، ص:108.

وما كنتُ قادراً عليه، هو إضفاء القداسة، أشفقتُ على نفسي من فوقهم وأنا أتابع مراحل دنسهم للجسد، وبمعنى آخر رأيتُ في حال قيامتي أنّ هذا الجسد هو ما يجب أنْ أحلّ فيه مرّة أخرى، ورأيتُ أنه حسن، تلك هي مقاومتي، تلك هي غنائيّتي[1].

يعيش (منير) حالة انفصال عن جسده فيما يشبه هروباً من عذاباته، وخلاصاً من محنة الجسد المنتهك، فهو يجلس بعيداً من جسده في الغرفة ذاتها ليراقب حفلة التدنيس الجماعي لذلك الجسد، فما محاولة الابتعاد عن الجسد ولو آنياً إلا تجسيداً لرغبة الذات في الإبقاء على طهرها ليعيش الجسد وحده دنسه وخزيه وعذابه، فخروج الإنسان عن جسده ليجعل منه شيئاً آخر هي مسألة خلاص، وطريقة مؤقتة لينتزع نفسه من العذاب بإبعاده في جسد لم يعد له حتى وهو لايزال جسده[2]، إنها محاولة لكتابة تاريخ للذات بمعزل عن تاريخ جسدها المدنّس من خلال سرد تتولّاه الضحية التي تجد في الكلام تفريغاً لعذاباتها المتراكمة، ووسيلة تُمكّنها من جعْل عارها يضيء، كما ورد في تصدير الرواية، فالاقتراب من عتمة العار المحرّمة من خلال الحكي هو استشفاء من الداء بالداء، فالضحية المتمثّلة في (منير) وهي تروي عارها تُعيد شحنه بالمعنى:

العبور من المدنّس إلى المقدّس ثمّ الاصطفاء، تُمثّل التجربة الإبداعية للخلق من جديد، أي جعله طاهراً وصالحاً، لنفترض هنا أنّ عمليّة الاغتصاب لم تتم، وكانت مجرّد عمليّة نفسية لعب عليها هؤلاء الفتية بالتهديد، ستبدو باهتة ولا تستحقّ عناء إظهارها للوجود، الخزي الذي لحق بالذات هو المكان الذي اختمرت فيه الفكرة، وحوّلته إلى مادة مضيئة تستحق النظر إليها، ومباشرة خلْقها، لقد نظرتُ للمادة ورأيتُها جيدة وهامة وحوّلتها إلى مجد خاص، مجدي أنا، تلاعبت بالتفاصيل، وحوّلتُ مادة هيّنة، مهانة، ذليلة إلى ضوء يُشير إلى محنة الخلق لا الاغتصاب. كان جسدي مثل منشور عبره الضوء وانكسر إلى سبعة ألوان[3].

ينازع الجسد المُعذّب، وهو جسد محتشد بالمعنى، صاحبه طامحاً لتأسيس خطابه الخاص فيمتزج صوته بصوت السارد، "فتداول الجسد كنص أو كمتن مفتوح على القراءة وفكّ

---

[1] _ الموفق، جمعة، **عار**، مصدر سابق، ص:94.

[2] _ انظر، لوبروطون، دافيد، **تجربة الألم**، مرجع سابق، ص:112.

[3] _ الموفق، جمعة، **عار**، مصدر سابق، ص:94، 95.

الشفرات الثقافية من شأنه أنْ يحيلنا على لغة ما داخله تشتغله لقصدية معيّنة"[1]، هذا الطرح يتناسب مع النظريات الحديثة التي تعارض بين الإنسان وجسده، وهو تعارض يشتدّ في ساعات المحن، وهو ما تجلّى فعليّاً في انفصال (منير) المؤقت عن جسده لحظة الاغتصاب، لكنّه انفصال آني تعود بعده الضحية لتعيش عذاباتها، ومن ثمّ تبحث عن آلية جديدة للتخلص من الألم عبر منْحه معنى، ومن خلال سرد تتبنّى فيه وجهة نظر الجسد الذي يجد في فعل التدنيس اعترافاً ضمنيّاً بقداسته، وترى في الجسد المكان الذي تختمر فيه الحكاية، بل إنه يضحي؛ أي الجسد ذاكرة الضحية التي تلفِظ وجعها عبر الكلام، فالتعبير بالكلمات عن العذاب يكسر ولو بشكل جزئي المصراع الذي يحبس الفرد في اجترار الصدمة[2]، فالكتابة عن الألم هي تفريغ له من معناه، ومحاولة تتبعها الذات لكي تهب ألمها معنى جديداً.

[1] _ إبراهيم، الزهرة، **الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الثقافية: وجوه الجسد**، مرجع سابق، ص:122.

[2] _ انظر، لوبروطون، دافيد، **تجربة الألم**، مرجع سابق، ص:121.

2_ محْو الجسد:

تصبح الضحية أسيرة الجسد وعذاباته، هذا الجسد الذي يغدو ذاكرة متّقدة، وجرحاً منفتحاً على الماضي، فـ"بعد تجربة التعذيب تصبح كلّ الاستثمارات السابقة في مأزق، وحسّ الهويّة ساحة معركة خراب، تنهار الأسس النرجسيّة وتتفكّك، والمهمّة شبه المستحيلة تتمثّل في إعادة بناء النفس في الحنين والحداد الدائمين للفترة السابقة على الصدمة"[1]، هذا ما تبدّى في محاولة الضحية (منير) إعادة بناء جسده المنتهك من خلال مادة أكثر حسيّة من الحبر ألا وهي الطين، وهو في ذلك مسكون بالجسد الأول قبل حادثة الاغتصاب، وهنا نعاين نمو السرد بين الرغبة في إعادة خلق الجسد ومحوه:

تمنيتُ لو كنتُ نحّاتاً، لاستطعتُ أن أقدّم العمل مجسّماً، النحّات ليس كاتباً، أرفع شأناً، باستطاعته أن يشعر بأنه خالق حقيقي عندما يلمس الطين، أن يشعر في محترفه بقشعريرة الخلق، وبالرهبة، أردتُ أن أكون مثله، باستطاعتي أن أقوم بذلك قلتُ في نفسي، لأقدّم لكم منحوتة محنتي.

في الأيام التالية كنتُ أجوس بين غرف البيت، وحمامه، ومطبخه، أدخّن وأنا مسكون بفكرة النحت، بدأتْ تسيطر عليّ أوهام: أني أستطيع فعلاً أنْ أكون نحّاتاً حتى أني أستطيع أن أنفخ في منحوتتي الروح.

بما يشبه الجنون آمنتُ بالفكرة، اعتنقتُها وبدأت مباشرة عملية الخلق، ذهبتُ لغريان لجلب تربة الصلصال، ما رغبتُ فيه أنْ أستعمل يدي لا أدوات أخرى، يدي فقط ولا شيء آخر. أردتُ الصلصال ولم أرد الجص، لا خشب ولا صخر، أردتُ الطين. أجلس كلّ يوم في الغرفة التي حوّلتُها إلى ما يشبه محترفاً لعلمية الخلق، كلّ يوم أدخل محترفي وأنظر إلى المادة دون أنْ ألمسها.

اشتريتُ بانيو، وأفرغتُ فيه أكياس الصلصال، وبدأتُ تطبيق أحمق فكرة، وكما في الكتابة أردتُ أن تختمر المادة[2].

يستدعي الصلصال الخلق الأول، ويحيل على الجسد غير ممسوس بأي فعل إنساني دنس، وما فكرة التمثال التي تسكن الضحية (منير) إلا محاولة لإعادة الخلق، وبناء الجسد المخدوش، وهو وإن تجلّى في شكل مادي، غير أنه يتضمن بالضرورة إعادة بنائه نفسياً، وفي

---

[1] _ المرجع نفسه، ص:119.

[2] _ الموفق، جمعة، **عار**، مصدر سابق، ص:118.

الوقت ذاته يبدو على نحو جليّ هذا الانفصال بين الضحيّة وجسدها، "فالإنسان، المختصر إلى وضع التمثال أو الهيكل العظمي، يعطي رمزياً عطلة الكون، ومعنى الجسد لا يحيل إلى أيّ شيء آخر...، فالجسد ليس شيئاً آخر غير الجسد"[1].

تباشر الضحيّة الصلصال مسكونة باستعادة الجسد الأول قبل حادثة الاغتصاب التي تستعر في وعيي الضحيّة ولاوعيها لتتحكّم أيضاً في مسارات هذا العمل الرمزي المتمثّل في تشييد التمثال:

صرتُ أنام في المحترف، مسكون بالفكرة، بهمّ الخلق، راودتني فكرة أنْ أتمدّد في البانيو عارياً وأختلط بالصلصال، أردتُ أنْ أسكنه كما يسكنني، عندما قمتُ ونظرتُ لأثري فيه، الانطباع الذي تركه الأثر مجرّد أثر محايد. خرجتُ وجلستُ عارياً أتفرّج على التشكيل، فكّرتُ أنه لو تمدّدتُ على الجانب الآخر في بانيو آخر وألصقهما مع بعض سأكونُ نحتُّ نفسي[2].

هكذا إذن لا تنجز الضحية عملية النحت بمعزل عن عذاباتها السابقة، فتغدو هاته العملية تمثيلاً رمزياً لتلك العذابات، ويصير النحت عملاً محفوفاً بمخاطر انهيار الجسد من جديد، هذا الانهيار مرتهن بوضعية الجسد، والشكل الذي تتخذه القدمان، لذا تحرص الضحية على نحت جسد بقدمين ملتصقتين، وحين تباعد بين القدمين يسقط الجسد المنحوت كما سقط الجسد الأول:

باشرتُ العمل، أبرزتُ الأرداف، وبنفس الطريقة حرصتُ أن تكون الرجلان ملتصقتين لمزيد من الدعم، واصلتُ إزالة الطين عن الفخذين والركبتين، الساقين وتوقّفتُ، سيزداد ضغط الجسد وقد يتهاوى في أيّ لحظة، توقّفتُ عند منتصف الساقين محتفظاً بكتلة الصلصال كقاعدة يستند عليها التمثال.

ابتعدتُ عن التمثال، جلستُ على السرير أدخّن، تأملتُه من بعيد، فكّرت أن أكتفي وأحوّل المتبقي من الطين كقاعدة للتمثال، حيلة ليس إلا، لكنّي رغبتُ في تمثال كامل، رميتُ السيجارة، وصرتُ أعاينُ التمثال "لا بأس به" قلتُ لنفسي، صرتُ أعمل على تحسين الملامح، الأنف، العينين، الأذنين، الشفتين، الذقن، منذ البداية كانت فكرتي أن يكون التمثال عارياً، لا مشكلة لم تكن يداي ماهرتين، لم أكن حتى موهوباً، كنتُ راغباً فقط، مُريداً

---

[1] _ لوبروتون، دافيد، **أنثروبولوجيا الجسد والحداثة**، مرجع سابق، ص:54.

[2] _ الموفق، جمعة، **عار**، مصدر سابق، ص:119.

أن يكون الصلصال طوع يدي، كنتُ أعمل بناء على هذه الرغبة التي تملكني. واصلتُ النحت، وأزعجني ألا أستطيع أن أحدّد القدمين، غامرتُ، وبدأتُ أزيل الطين، حدّدتُ قدماً، وتوقّفتُ، رأيتُ أنّ التمثال كأنه غارق في الوحل، حين وصلتُ القدمين، وحدّدتهما، بخطوة قصيرة على الوحل الطيني، نهضتُ ووقع التمثال علي، استطعتُ أن أمسكه لكنّه فقد تماسكه وبدا كأنه تكوّم على بعضه، كنتُ في تلك اللحظة أبدو كمن يحضن ميّتاً، سحبتُ نفسي منه بهدوء، وتركته على هيئته، "من الصعب أن يقف المغتصب مرة أخرى" قال صوت داخلي[1].

ينهار الجسد المنحوت فيما يشبه تكراراً لانهيار الجسد الأول، ويفشل (منير) في التحرّر من صدمة الاغتصاب من خلال إعادة بناء جسده المنتهك، ومن ثمّ تبرز عدائيّته لهذا الجسد، وتتولّد رغبة ملحاحة في محو هذا الجسد، والتخلص منه، هاته الرغبة تتمثّل رمزياً في تبوّل (منير) على التمثال المنهار والبصق عليه:

استيقظتُ من النوم، ظلام تام، كانت مثانتي محتقنة بالبول، في طريقي للحمام مررتُ بالمحترف، رأيتُ المنحوتة على ضوء الشمعة الباهت، كرهتها، من حنقي أفرغت مثانتي عليها، بصقتُ عليها وعدتُ للسرير، دخّنتُ سيجارتين، وبدأتُ أضحك من نفسي، قهقهتُ[2].

ترى الضحية في الموت خلاصاً من عذاباتها وبخاصة بعد الفشل في استعادة الجسد غير المدنّس، ومن ثمّ تمارس ما يشبه محْواً طقوسياً لهذا الجسد عبر فعْلي التبوّل والبصق، وبما أنّ الذي يمحو جسده يعرّض نفسه لمحْو حقيقي لحضوره من خلال الموت[3]، فإنّ الضحيّة تستدعي موتها، وتبتني مآلها السردي عبر هذا المحو الطقوسي للجسد، ليعاين القارئ في هذه الحادثة استباقاً يشي بموت (منير) الذي يُقتل على يديّ ابن أخته للسبب ذاته المتمثّل في الشبه بينه والقاتل الحقيقي.

يدفع الفشل في إعادة بناء الجسد المغتصب الضحية (منير) إلى إنجاز سرده:

---

[1] _ المصدر نفسه، ص:120، 121.

[2] _ المصدر نفسه، ص:121.

[3] _ انظر، لوبروتون، دافيد، **أنثروبولوجيا الجسد والحداثة**، مرجع سابق ، ص:94.

صباحاً دخلتُ المحترف، ألقيت نظرة خائبة على التمثال، فتحتُ اللابتوب وشرعتُ في الكتابة مرة أخرى، أنهيتُ الرواية بعد ثلاثة أيام[1].

تجد الذات المُعذّبة في السرد ملاذها الأخير فتعود إلى الحبر، لتضيء عارها بالكلام، وتحشد ألمها بالمعنى، فالكلمات تحرّر الألم المسجون، وتعيد للجسد المغتصب رمزياً شيئاً من قداسته، كما تغدو هذه العذابات المسرودة دليل إدانة الجلّادين؛ ذلك أنّ رواية الضحية (منير) هي التي تعين الضابط (ناجي) على معرفة الحقيقة.

3_ الجسد المنتقم:

تنتظم في المتخيّل السردي لرواية (عار) حكايتان، حكاية (منير)، وحكاية شبيهه، وحين يصمت صوت (منير) بالقتل يتولّى سارد خارجي إتمام حكاية شبيهه الضالع في الحرب الذي يتعرض بسببه (منير) للانتهاك مرّتين، مرة بالاغتصاب وأخرى بالقتل، هذا الشبيه ينجز أفعاله السردية مدفوعاً بالانتقام؛ لأنه، وبسبب الشبه، يُضحي شريكاً للضحية في العار الذي لحقها، وهذا يعني أنّ الحكايتين تتداخلان من خلال الجسد، وبالتحديد من خلال الوجه الذي يُعدّ الجزء الأكثر فردية وخصوصيّة في الجسد، إنه رمز الشخصي[2]، كل هذا يشي بأهمية الجسد في ابتناء هذا المتخيّل السردي، فيُقحم الضحية في الصراع، ويدفع القاتل للانتقام؛ إذ لا شيء يجمع بين (منير) وشبيهه غير الوجه رغم الدور الذي لعبه (ظافر) صهر (منير) في الوشاية به:

هو لا يفهم هذه اللغة، منهجه بسيط وطبيعي، اقتل حين تتعرض للتهديد، يظن أنه فعل هذا لأجل المسكين، فعل هذا لأنه شعر بالعار قد لحقه هو الآخر، رأى نفسه في المرآة، كان هو مرآته، وتصرف مدفوعاً بغريزية الانتقام، لم ير في نفسه أنه يخالف أي ناموس طبيعي. هو ليس فناناً، ليس نحاتاً، هو قاتل هيأته الطبيعة عندما غاب القانون[3].

تتحوّل شخصيّة الشبيه إلى جسد منتقم، هاته الشخصيّة، التي لا اسم لها، فاعلة في بناء السرد عبر أفعالها لا أقوالها، فتنتقم من قتلة (منير)، وفي هذا السياق الرمزي يمكن القول: إنّ الجسد المخدوش ينتقم من خلال الشبيه لنفسه خاصة وأنّ القتلة لا يفرّقون بين (منير) وشبيهه،

---

[1] _ انظر، لوبروطون، دافيد، **تجربة الألم**، مرجع سابق، ص:137.

[2] _ انظر، المرجع نفسه، ص:41.

[3] _ الموفق، جمعة، **عار**، مصدر سابق، ص:146.

وهذا يعني أنّ (منير) هو القاتل من وجهة نظر القتلة، ليغدو (منير) وشبيهه شريكين في الانتهاك والانتقام، هذا ما يشي به الحوار التالي بين (عزّة) أخت (منير) وشبيهه:

سألتْ القاتل" من أنت؟"

جاءها الرد" ظننتك عرفتني، أنا سبب المصائب كلها التي حلت بكم"

"أنت الذي ظهر في الفيديو وهو متوعد" قالت.

" أجل، أنا هو" قال.

ساد صمت بينهما، ثم قال" لقد عانيت أنا الآخر، لسببين، الأول أني سبب في مصيبة منير، والثاني كنت أرى نفسي مغتصباً، الكل لاحقوني بنظراتهم، ظنوني أنا المغتصب، لقد شاهدت في عيونهم الشماتة، أنا أيضاً لحقني العار، انتقمت له ولي"[1].

يصبح الجسد في بعده المادي فاعلاً في بناء السرد ونموه في رواية (عار)، فالجسد المختزل في الوجه، المُدرك من خلال النظر يُمثّل الهوية المادية، ففي هذا الصراع الذي يُشكّل مرجعاً للمتخيّل السردي يُجرّد الجسد من كلّ أبعاده الثقافية، ويُضحي مادة يستغلّها الجلّادون لإلحاق الأذى بخصومهم، وهاهنا أيضاً نعاين دور الشبه المادي الذي يجمع بين (منير) وشبيهه في التحكّم في السرد، وتناميه، وبلوغه نهاياته عبر التحوّل من الجسد المنتهك (جسد منير) إلى الجسد المنتقم (جسد الشبيه)، ليكون القارئ إزاء سردية الجسد الذي ينجز الأفعال السردية الأهم، وإليه ترجع التحوّلات السردية الكبرى في هذا المتخيّل السردي.

[1] _ المصدر نفسه، ص:150.

خاتمة:

كشفت هاته القراءة عن الحضور الفاعل للجسد في المتخيّل السردي لرواية (عار) من خلال رصد تحوّلات هذا الجسد التي تنهض بالدور الأهم في نمو السرد، وتداخل الحكايتين الأساسيتين اللتين تنتظمان داخله؛ إذ لا أفكار سياسية، ولا معرفة مسبقة تجمع بين (منير) وشبيهه رغم انتمائها إلى فضاء جغرافي واحد، لا شيء غير الشبه الذي يُمثّل لعنة تعيش بسببها الضحية عذابات اغتصابها بعد أن فشلت كل محاولات إعادة بناء الجسد المنتهك، هذا الشبه يغدو لاحقاً دافع الشبيه للانتقام ليصبح الشبيه أيضاً جزءاً من حكاية (منير).

يُمثّل التعارض بين الضحية (منير) وجسده أبرز مظاهر الصراع في هذا المتخيّل السردي، وهو صراع لا يتخذ نسقاً واحداً، وإنما ينتقل من العدائية الظاهرة للجسد، والانفصال عنه، والرغبة في محوه، إلى الحنو عليه ولعق جراحه كما ورد على لسان (منير)، وضمن حالات الجسد الثلاث (المغتصَب، الممحو، المنتقم) يتحرّك السرد وينمو، ومن ثمّ حاولت هذه القراءة أن تعاين رمزية الجسد في المسافة السردية بين (منير) وشبيهه، ففي هاته المسافة ينجز الجسد سرده من خلال شحن عذاباته بالمعنى، والانتقام من الجلّادين، وهو ما يؤدّي إلى تقويض تلك المسافة بين الضحية وشبيهه، فإذا كان عار الاغتصاب قد لحق الشبيه، فإنّ (منير) أيضاً انتقم عبر وجه الشبيه من مغتصبيه.